(عصمة قلوب الأنبياء عليهم السلام)
عند القاضي عياض -ت٥٤٤ هـ- من خلال
كتابه "الشفا"
دراسة تحليلية

إعداد

د. أحمد يوسف النصف

الأستاذ المشارك في كلية التربية الأساسية

التابعة للهيئة العامة للتعليم التطبيقي

والتدريب بدولة الكويت

من ٥٩ إلى ١٠٤

(عصمة قلوب الأنبياء عليهم السلام)

عند القاضي عياض –ت٥٤٤ هـ– من خلال كتابه "الشفا"

دراسة تحليلية

أحمد يوسف النصف

كلية التربية الأساسية التابعة للهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب بدولة الكويت

البريد الألكتروني:. m.m.mostafa@Yahoo.com

الملخص:

يتناول البحث قضية عصمة "قلوب" الأنبياء والرسل –عليهم الصلاة والسلام– عند القاضي عياض من خلال كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ.

فالبحث يُؤَصِّل مبدأ عصمة قلوبهم –عليهم السلام–، ويناقش النصوصَ الوارِدة في الكتاب والسنة، التي قد يُوهِم ظاهرها خلاف ذلك، مع بيان التوجيه الصحيح لها.

ويحاول بعضُ مَن في قلبه مرضٌ إبطالَ عصمة الأنبياء –عليهم السلام–؛ ليتوصل بذلك إلى هدم الشريعة والدين كله؛ فهذا البحث يُعَدُّ مشاركة في الدفاع عن الدين الإسلامي، من خلال الدفاع عن عصمة الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام–.

وقد ناقش البحث: عصمة قلوب الأنبياء –عليهم السلام– من الشك، وعصمتهم من الجهل، وعصمتهم من الضلال، وعصمتهم من تسلط الشيطان الرجيم، وعصمتهم من السهو والنسيان.

الكلمات المفتاحية: عصمة ، القلوب ، الأنبياء ، كتاب الشفا ، القاضي عياض،

Infallibility Of The Hearts Of The Prophets, Peace Be Upon Them

Judge Iyad, in his book "Al-Shafa" - Analytical study.

Ahmed Yousef Al-Nisf
The College of Basic Education , Public Authority for Applied ,Education and Training ., State of Kuwait
Yahoo.com @ Email:. m.mostafa.m

Abstract:

The research deals with the issue of infallibility of the prophets and messengers - peace and blessings be upon them - by Judge Ayyad through his book Al-Shifa, defining the rights of Mustafa. The research establishes the principle of the infallibility of their hearts - may peace be upon them - and discusses the texts mentioned in the Qur'an and Sunnah, the appearance of which may be deluded otherwise, with an explanation of the correct guidance for them. And some of those in his heart try to nullify the infallibility of the prophets - may peace be upon them - to achieve the demolition of Sharia and religion as a whole. The research discussed: Infallibility of the hearts of the prophets - peace be upon them - from doubt, their immunity from ignorance, their infallibility from misguidance, and their infallibility from the domination of the accursed Satan, and their infallibility from forgetfulness and forgetfulness.

Keywords: Infallibility, Hearts, Prophets, Book Al-Shifa, Al-Qadi Ayyad.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعدُ، فإنَّ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وسائط بين الله تعالى وبين خلقه، يبلغونهم أوامره ونواهيه، ووعده ووعيده، ويعرفونهم ما لم يعلموه مِن أمر الله تعالى وخَلْقِه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته، فظواهرهم وأجسادهم وبنيتهم متصفةٌ بأوصاف البشر، طارئٌ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام -غير المُنَفِّرة- والموت والفناء ونعوت الإنسانية؛ وأما أرواحهم وبواطنهم وقلوبهم فهي متصفة بأعلى من أوصاف البشر، متعلقة بالملأ الأعلى، متشبهة بصفات الملائكة، سليمة من التغير والآفات[١].

والأنبياء وإن كانوا من البشر، ويجوز على جِبِلَّتِه ما يجوز على جبلة البشر، إلا أنهم معصومون ومُنَزَّهون عن كثيرٍ مِن الآفات التي يقع فيها البشر ظاهراً وباطناً.

وسأناقش في هذا البحث "عصمةَ قلوب" الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- عند القاضي عياض اليحصبي، مِن خلال كتابه "الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ"، ولن أتطرق إلى عصمة أفعالهم أو أقوالهم في هذا البحث إلا من باب الاستطراد والتوضيح.

والعصمة في اللغة، لها عدة معانٍ، منها: الحفظ؛ ومعنى "اعتصم بالله": امتنع بلطفه من المعصية. ومنها: المنعُ؛ يُقال: "عصمه الطعام"، أي: منعه من الجوع. وفي الاصطلاح: حفظ الله تعالى ظواهر الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- مِن فعل المنهيِّ عنه. وقيل: هي لطفٌ مِن الله تعالى بالعبد، يحمله على الخير، ويزجره عن الشر[٢].

و"القلب" يُطلق على معنيين[٣]:

---

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ص٦٠٤). طباعة دار الفيحاء، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٢)انظر: مختار الصحاح لزين الدين محمد بن أبي بكر الرازي (ص٤٣٧)، طباعة المطبعة الأميرية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٥٣م. والقول السديد في علم التوحيد، لمحمود أبي دقيقة (١٧٥/٢)، طباعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، القاهرة، الطبعة الأولى.

(٣) انظر: إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الغزالي (١٣/٥-٢٠)، طباعة دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.

الأول: اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر؛ وهذا القلب موجود للبهائم، بل هو موجود للميت أيضاً. وإذا أطلقت لفظ القلب في هذا البحث، لم أعنِ به هذا المعنى.

الثاني: اللطيفة الربانية الروحانية، التي لها بهذا القلب الجسماني تَعَلُّقٌ؛ وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهو المُدْرِكُ العالِمُ العارِفُ من الإنسان، وهو المخاطَب والمعاقَب والمعاتَب والمطالَب؛ ولها علاقة مع القلب الجسماني؛ وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته.

وحيث ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة لفظ "القلب"، فالمراد به: المعنى الذي يَفْقَهُ مِن الإنسان، ويَعرف حقيقة الأشياء.

وعلى هذا فإذا أطلقتُ لفظ "القلب" في هذا البحث، فإنني أريد به: هذه اللطيفة، أي: المعنى الثاني للقلب.

والقلب والعقل يشتركان من هذه الحيثية؛ لأن العقل له إطلاقات، ومن إطلاقاته: "أنه المُدْرِكُ للعلوم"، فيكون هو القلب –على معناه الثاني–.

وسبب اختيار الموضوع: اهتمام القاضي عياض في كتابه "الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ" بقضية عصمة الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– في أقوالهم وأفعالهم وقلوبهم، سواء ما يتعلق بالتشريع والبلاغ عن الله تعالى والأمور الدينية، أو ما يتعلق بالأمور الدنيوية التي ليس لها علاقة بالتشريع والبلاغ عن الله تعالى.

وقد ناقش القاضي عياض النصوص الواردة في الكتاب والسنة، التي قد يُوهِم ظاهرها خلاف مبدأ عصمتهم –عليهم الصلاة والسلام–، مبيناً التوجيه الصحيح لهذه النصوص، ومنبهاً على الأخطاء التي يقع فيها بعض المؤرخين والمفسرين وشراح الحديث.

وتكمن أهمية هذا البحث: بالموضوع الذي يتكلم عنه، ألا وهو عصمة الأنبياء والرسل –عليهم الصلاة والسلام–، الذي يحاول كثيرٌ ممن في قلبه مرضٌ أن ينقضها ويبطلها؛ حتى يتوصل إلى هدم الشريعة والدين كله. فهذا البحث يُعتبر مشاركة في الدفاع عن الدين الإسلامي، من خلال الدفاع عن عصمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

وتكمن أهمية البحث أيضاً: بمكانة القاضي عياض العلمية، ومكانة كتابه "الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ" في الأوساط العلمية.

أما القاضي عياض، فقد قال عنه الإمام الذهبي – ت ٧٤٨ هـ – : «الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ الأَوْحَدُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، القَاضِي، أَبُو الفَضْلِ عِيَاضُ بنُ مُوْسَى بنِ عِيَاضِ بنِ عَمْرِو بنِ مُوْسَى بنِ عِيَاضٍ اليَحْصَبِيُّ، الأَنْدَلُسِيُّ، ثُمَّ السَّبْتِيُّ، المَالِكِيُّ. وُلِدَ: فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ. وَاستبحر مِنَ العُلُوْم، وَجَمَعَ، وَأَلَّفَ، وَسَارَتْ

بِتَصَانِيْفِهِ الرُّكبَانُ، وَاشْتُهِرَ اسْمُهُ فِي الآفَاقِ. تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ»اهـ[1].

وأما كتاب "الشفا".. فقد قال عنه شارحه العلامة الخفاجي – ت١٠٦٩هـ – : «إن كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، كتابٌ قدره جليل، وهو على جلالة مصنفه أدل دليل»اهـ[2].

وقال عنه الحافظ ابن العماد الحنبلي – ت١٠٨٩– : «ومن مصنّفاته: "الشفاء"، الذي لم يُسْبَق إلى مثله»اهـ[3].

وأما الدراسات السابقة للبحث: فلم أقف على دراسة خاصة بموضوع هذا البحث، وهو عصمة قلوب الأنبياء –عليهم السلام– من خلال كتاب الشفا للقاضي عياض عليه رحمة الله تعالى.

ويتبين من ذلك أن اعتمادي –بعد الله تعالى– سيكون على كتاب الشفا.

وقد جاء عنوان البحث: «عصمة قلوب الأنبياء عليهم السلام، عند القاضي عياض – ت٥٤٤ هـ – من خلال كتابه "الشفا"»، دراسة تحليلية.

وأما عن خطة البحث : فهي عبارة عن: خمسة مباحث، وخاتمة.

أما المبحث الأول: فعن عصمة الأنبياء –عليهم السلام– من الشك.

وأما المبحث الثاني: فعن عصمتهم عن الجهل.

وأما المبحث الثالث: فعن عصمتهم من الضلال.

وأما المبحث الرابع: فعن عصمتهم من الشيطان.

وأما المبحث الخامس: فعن عصمتهم عن السهو والنسيان.

وأما خاتمة البحث، فسأذكر فيها النتائج التي توصلت إليها فيه.

أسأل الله تعالى أن يتقبل هذا الجهد، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

---

(١) باختصار من سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٢١٢/٢٠–٢١٧). طباعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(٢) نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، لأحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (٢/١). طباعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١هـ –٢٠٠١م.

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي (١٣٨/٤). طباعة دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ .

المبحث الأول
عصمتهم من الشك !

نقل القاضي عياض إجماعَ المسلمين على أن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- معصومون من الشك أو الرَّيب في الأمور المتعلقة بالتوحيد، والعلمِ بالله تعالى وصفاتِه، وبما أوحى الله تعالى إليهم؛ فَهُم في ذلك على غاية المعرفة ووضوحِ العلم واليقينِ(١).

فقلوبهم -عليهم الصلاة والسلام- معصومة من الشك والريب، فلا يصح أن يشكوا بشيءٍ وَصَلَ إليهم عن طريق الوحي؛ بل إن كل ما وصل إليهم عن طريق الوحي يعلمونه علم اليقين، لا يشكون ولا يرتابون فيه أبداً(٢).

ورجَّح القاضي عياض أن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- معصومون قبل النبوة أيضاً من وقوع الشك عليهم بالله تعالى وصفاته(٣).

وقد وردت بعض النصوص في الكتاب والسنة تُوهم بظاهرها وقوع الشك من الأنبياء عليهم السلام، وهي في الحقيقة محمولة على ما لا يخالف الإجماع المتقدم في عصمتهم من ذلك.

وسنناقش في هذا المبحث هذه النصوص، وسنبين توجيه القاضي عياض لها بما يتناسب مع مبدأ عصمتهم عليهم الصلاة والسلام.

أولاً : قول سيدنا إبراهيم عليه السلام : {وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} :

ناقش القاضي عياض ما قاله الله تعالى عن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[البقرة: ٢٦٠]، ذاكراً أنه لا اعتراض على عصمة الأنبياء من الشك بقوله عليه السلام: {وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}؛ لأنه يحتمل ستة أوجه لا تخالف مبدأ عصمتهم، وهي ما يلي(٤):

١-أن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- لم يشك في إخبار الله تعالى له بإحياء الموتى، وإنما أراد كيفيةَ ذلك ومشاهدة صدوره من الله تعالى. فالعلم الأول -وهو تيقن وقوعه

---

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ص٦٠٧).

(٢) انظر: الشفا (ص ٦٣٢ - ٦٣٣).

(٣) انظر: الشفا (ص٦٢٣).

(٤) انظر: الشفا (ص٦٠٧-٦٠٨).

عن الله تعالى- حاصلٌ له مِن غير شك أو جهل في ذلك؛ وأما العلم الثاني -وهو كيفية حصوله- فهو المراد بسؤاله؛ ليزداد علماً ويقيناً، لا أنه شاكٌّ في ذلك.

٢-أن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- أرادَ عِلْمَ منزلته عند ربه تعالى، وعِلمَ إجابةِ اللهِ له طلبَه وسؤالَه. فعلى هذا يكون معنى قوله تعالى: {أَوَلَمْ تُؤْمِنْ} أي: أولم تُصَدِّق يا إبراهيم بمنزلتك مني، وخُلَّتك، واصطفائك؟

٣-أنه سأل زيادةَ يقينٍ وقوةَ طمأنينةٍ، وإن لم يكن في علمه الأول -الذي كان قبل المشاهدة- شَكٌّ؛ فأراد التَّرَقّي مِن علم اليقين، إلى عين اليقين؛ فليس الخبر كالمعاينة.

٤-أنه لَمَّا احتج -عليه السلام- على المشركين بأن ربه يحيي ويميت، طلب ذلك من ربه؛ ليصح احتجاجه عِياناً.

٥-أنه سؤالٌ على طريق الأدب، والمراد منه: أَقْدِرني على إحياء الموتى. فيكون قوله: {وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} عن هذه الأُمنية.

٦-أنه أرى من نفسه صورة الشك، وما شك حقيقة، لكن فعل ذلك ليُجَاوَب، فيَزداد قربه من الله حال مناجاته وتلذذه بخطابه.

وأما قولُ النبي ﷺ : «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ قَالَ: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}..»[١]، فهو نَفْيٌ لأن يكون سيدنا إبراهيم -عليه السلام- قد شَكَّ، وإبعادٌ للخواطر الضعيفة أن تظن هذا بإبراهيم -عليه السلام-، أي: نحن موقنون بالبعث وإحياءِ الله الموتى، فلو شك إبراهيم، لكنا أولى بالشك منه، إما على طريق الأدب من سيدنا محمد مع سيدنا إبراهيم -عليهما الصلاة والسلام- أو أن يريد نبيُّنا ﷺ أُمَّتَه الذين يجوز عليهم الشك، فهو ﷺ أسند لنفسه ما هو لأمته. أو قاله ﷺ على طريق التواضع والإشفاق إن حُمِلَتْ قصةُ إبراهيم على اختبار حاله أو زيادة يقينه[٢].

ثانياً : في قوله تعالى لنبينا محمد ﷺ : {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ} :

وأما عن قول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ(٩٤) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[يونس:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله عز وجل: {وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ}، قوله: {وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}، رقم الحديث: (٣٣٧٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ، رقم الحديث: (١٥١).

(٢) انظر: الشفا (ص٦٠٨).

٩٤-٩٥]، فقد حذّر القاضي عياض من الاغترار بما ذكره بعض المفسرين عن ابن عباس وغيره من إثبات شكٍّ للنبي ﷺ فيما أُوحي إليه؛ فمثل هذا لا يجوز عليه جُمْلَةً ﷺ، بل الذي قاله ابنُ عباس وغيره: أنه لم يشك النبيُّ ﷺ ولم يَسأل؛ وبَيَّنَ القاضي: أن عامة المفسرين على هذا[(١)].

وأما عن معنى الآية، فقد ذكر أن العلماء مختلفون فيه، وبيانه ما يلي[(٢)]:

١-أن المراد: قُل يا محمد للشاك: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ} الآية. وفي السورة نفسها ما يدل على هذا التأويل، وهو قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}[يونس: ١٠٤].

٢-أن المرادَ بالخِطاب: العربُ وغيرُ النبي ﷺ، وهو كما قال تعالى: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[الزمر: ٦٥]، فالخطاب له ﷺ، إلا أن المراد غيره.

ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى: {فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ}[هود: ١٠٩]، فالمراد به غيره ﷺ.

ونجد أيضاً في الآية المتقدمة أن الله تعالى قال: {وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، وفي الحقيقة أنه ﷺ كان المُكَذَّبَ فيما يَدعُو إليه، فكيف يكون ممن يُكَذِّب به؟.

ومثل هذه الآية قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا}[الفرقان: ٥٩]، والمأمور هاهنا غيرُ النبي ﷺ ليسأل النبيَّ؛ والنبيُّ ﷺ هو الخَبير المَسْؤول، لا المُسْتَخْبِر السائل.

٣-أن هذا الشك الذي أُمِرَ به غيرُ النبي ﷺ بسؤال الذين يقرؤون الكتاب، إنما هو فيما قَصَّهُ الله من أخبار الأمم، لا فيما دعا إليه من التوحيد والشريعة.

ومثل هذا قوله تعالى: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ}[الزخرف: ٤٥]، فالمراد هنا: المشركون، والخطاب مواجهة للنبي ﷺ.

وقيل: المعنى: سَلْنَا عمن أرسلنا من قبلك، فحُذِف الخافض، وتم الكلام، ثم ابتدأ الكلامَ: {أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} على طريق الإنكار، أي: ما جعلنا.

(١) انظر: الشفا (ص٦٠٨-٦٠٩).

(٢) انظر: الشفا (ص ٦٠٩ - ٦١١).

وقيل: أُمِرَ النبي ﷺ أن يسأل الأنبياء ليلة الإسراء عن ذلك، فكان أشد يقيناً مِن أن يحتاج إلى السؤال.

وقيل: سل أُمَمَ مَن أرسلنا: هل جاؤوهم بغير التوحيد؟

قال القاضي عياض: «والمراد بهذا والذي قبله: إعلامُه ﷺ بما بُعِثَتْ به الرسل، وأنه تعالى لم يَأذن في عبادة غيره لأحد؛ رَدّاً على مشركي العرب وغيرهم في قولهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}[الزمر: ٣]، وكذلك قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}[الأنعام: ١١٤]، أي: في علمهم بأنك رسول الله، وإن لم يُقِرُّوا بذلك. وليس المراد به: شكه فيما ذُكر في أول الآية. وقد يكون أيضاً على مِثل ما تقدم: أي: قل يا محمد لمن امتَرَى في ذلك: لا تكونن من الممترين؛ بدليل قوله أول الآية: {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}[الأنعام: ١١٤]، وأن النبي ﷺ يخاطِب بذلك غيرَه» اهـ(١).

٤-أنه تقرير، كقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ}[المائدة: ١١٦]، وقد علم أنه لم يَقُل.

٥-أن معناه: ما كنتَ في شك، فاسأل تزدد طمأنينة وعلماً إلى علمك ويقينك.

٦-أن معناه: إن كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به، فاسألهم عن: صفتك في الكتب، ونَشْرِ فضائلك.

٧-أن المراد: إن كنتَ في شك من غيرك -أي: من اعتقاد غيرك- فيما أنزلنا، فاسأل الذين يقرؤون الكتاب حتى يخبروك بما عندهم فيه.

ثالثاً : في قوله تعالى : { حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا } :

ومعنى قول الله تعالى: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ}[يوسف: ١١٠] على قراءة التخفيف في: {كُذِبُوا}، فيوجه بتوجيهين(٢):

١-أنَّ الرسل لَمَّا استيأسوا، ظنوا أنَّ مَن وَعَدَهم النصرَ مِن أتباعهم كذبوهم؛ وعلى هذا أكثر المفسرين.

٢-أن ضمير في {وَظَنُّوا} عائد على الأتباع والأمم، لا على الأنبياء والرسل -عليهم السلام-؛ وهو قول ابن عباس، والنَّخَعيِّ، وابنِ جُبير، وجماعةٍ من العلماء.

---

(١) الشفا (ص ٦١٠ - ٦١١).

(٢) انظر: الشفا (ص ٦١١ - ٦١٢).

قال القاضي عياض رحمه الله: «فلا تشغل بالك مِن شاذ التفسير بسواه، مما لا يَليق بمَنْصِبِ العلماء، فكيف بالأنبياء؟!» اهـ[١].

رابعاً : معنى قول النبي ﷺ : « لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي » :

وما وَرَدَ في حديث السيرة ومُبْتَدأ الوحي مِن قوله ﷺ للسيدة خديجة رضي الله عنها: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»[٢]، فليس معناه: الشك فيما آتاه الله بعد رؤية المَلَك، ولكنه يُحْمَلُ على ما يلي[٣]:

١-أنه ﷺ خَشِي أن لا تحتمل قوته مقاومة المَلَكِ وأعباء الوحي، فينخلع قلبه، أو تزهق نفسه؛ وهذا بناء على ما ورد في الحديث الصحيح: من أنَّ النبي ﷺ قاله بعد لقائه المَلَك، وإبلاغه بالنبوة.

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ}[العلق:١-٣]، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ..» الحديث[٤].

---

(١) الشفا (ص ٦١٢).

(٢) سيأتي تخريجه قريباً.

(٣) انظر: الشفا (ص ٦١٢ - ٦١٣).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله جل ذكره: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ}، رقم الحديث: (٣٣٧٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث: (١٦٠).

٢-أنه قال ذلك قبل لقائه المَلَك، وإعلام الله تعالى له بالنبوة، لِأَوَّلِ ما عُرِضَت عليه مِن العجائب -والتي منها تسليم الحجر والشجر عليه-، وبدأته المنامات والتباشير؛ كما رُوي في بعض طُرُقِ هذا الحديث: أن ذلك كان أولاً في المنام، ثم أُرِيَ في اليقظة مثل ذلك؛ تأنيساً له عليه السلام؛ لئلا يَفْجَأَهُ الأمر مشاهدة ومشافهة؛ فلا يحتمل لأول حالةٍ بنيةُ البشرية.

خامساً : ما رُوي مِن أنَّ النبيَّ ﷺ أراد أنْ يَتردى مِن شاهق الجبال !

وأما ما قاله مَعْمَرُ: «وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً، حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ -فِيمَا بَلَغَنَا- حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ»[١]، فقد قال عنه القاضي عياض: «لا يقدح في هذا الأصل؛ لقول معمر عنه: "فيما بلغنا"، ولم يُسْنِدْه، ولا ذَكَرَ راويه ولا مَن حَدَّثَ به، ولا أن النبي ﷺ قاله، ولا يُعْرَف مثل هذا إلا مِن جهة النبي ﷺ»اهـ[٢].

ومع اعتراض القاضي عياض على ما قاله معمر، إلا أنه ذكر أن ما قاله قد يُحمل على ما يلي[٣]:

١-أن ذلك قد كان في أول الأمر -قبل النبوة-.

٢-أنه ﷺ فعل ذلك لِمَا أحرجه من تكذيب مَن بلَّغه.

٣-أنه يمكن أن يُحمل على أنه خاف أن الفترةَ لأمرٍ أو سببٍ منه، فخشي أن تكون عقوبةً مِن ربه، ففعل ذلك بنفسه؛ ولم يَرِدْ بَعْدُ شَرْعٌ بالنهي عن ذلك فيُعترض به.

سادساً : معنى قوله ﷺ : « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي » :

حذَّر القاضي عياض مِن أن يُفهم من قوله ﷺ : «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[٤] أن هذا الغينَ عبارةٌ عن وسوسةٍ أو ريبٍ وَقَعَ في قلبه ﷺ -حشاه ﷺ من ذلك-. وبيَّن أن العلماء قد اختلفوا في معنى هذا الحديث على ما يلي[٥]:

١-أن ذلك إشارةٌ إلى غفلاتِ قلبه، وفتراتِ نفسه، وسهوها عن مداومة الذِّكْرِ، ومشاهدةِ الحق بما كان ﷺ دُفِعَ إليه مِن مُقاساة البشر، وسياسةِ الأمة، ومعناةِ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب التعبيرِ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، رقم الحديث: (٦٩٨٢).

(٢) الشفا (ص ٦١٥ – ٦١٦).

(٣) انظر: الشفا (ص ٦١٦).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ﷺ، رقم الحديث: (٢٧٠٢).

(٥) انظر: الشفا (ص ٦١٨ – ٦٢٠).

الأهل، ومقاومةِ الولي والعدو، ومصلحةِ النفس، وكُلِّفه مِن أعباء أداء الرسالة وحَمْلِ الأمانة، وهو في كلِّ هذا في طاعةٍ ربه وعبادة خالقه؛ ولكن لَمَّا كان ﷺ أرفعَ الخلقِ عند الله مكانة، وأعلاهم درجة، وأتمهم به معرفة، وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه وإقباله بكليته عليه -ومقامُه هنالك أرفع حالَيْه-، رأى ﷺ حال فترته عنها وشغله بسواها، غَضّاً مِن عَلِيِّ حاله، وخفضاً مِن رفيع مقامه، فاستغفر الله من ذلك.

قال القاضي عياض: «وهذا أولى الوجوه وأشهرها..، وهو مَبْنِيٌّ على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ»اهـ[(١)].

٢-أنه ما يُهِمُّ خاطرَه ويُغِمُّ فِكْرَه مِن أَمْر أمته ﷺ؛ لاهتمامه بهم، وكثرة شفقته عليهم، فيستغفر لهم. وقد يكون الغين هنا على قلبه: السكينة التي تتغشَّاه؛ لقوله تعالى: {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ}[التوبة: ٤٠]، ويكون استغفاره ﷺ عندها إظهاراً للعبودية والافتقار. قال ابن عطاء: استغفاره وفعله هذا تعريفٌ لأمته بحملهم على الاستغفار. وقال غيره: ويستشعرون الحذر، ولا يركنون إلى الأمن.

وذهب إلى هذا الرأي طائفةٌ مِن أرباب القلوب ومشيخة المتصوفة، ممن قال بتنزيه النبي ﷺ عن هذا جملةً، وأَجَلَّهَ أن يجوز عليه في حالٍ سهوٌ أو فترة.

٣-أن تكون هذه الإعانةُ حالةَ حشيةٍ وإعظامٍ، تغشى قلبَه، فيستغفر حينئذ شكراً لله تعالى، وملازمة لعبوديته؛ كما قال ﷺ في ملازمة العبادة: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»[(٢)].

سابعاً : لم يتسلط السحر على قلب النبي ﷺ :

قد يظن ظانٌّ أن السحر قد أثر على قلب النبي ﷺ، مما يفتح المجال للمترصدين للطعن فيما جاء به ﷺ، وسيتضح مما يأتي أنَّ السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه، لا على قلبه واعتقادِه وعَقْلِه[(٣)].

وذكر القاضي عياض الاتفاقَ على صحة الحديث المُثْبِت لقصة سحر النبي ﷺ، منبهاً على أنَّ الذي طَعن فيه هم الملحدة؛ ليصلوا إلى التشكيك في الشرع، ثم قال:

---

(١) الشفا (ص ٦١٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب قول اللَّه تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ}، رقم الحديث: (١١٣٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، رقم الحديث: (٢٨١٩).

(٣) انظر: الشفا (ص ٧١٩ - ٧٢١).

«وإنما السِّحر مرضٌ مِن الأمراض، وعارِضٌ مِن العلل، تجوز عليه، كأنواع الأمراض مما لا يُنْكَرُ، ولا يَقْدَح في نبوته»اهـ(١).

وروى الشيخان وغيرُهما قصة السحر عن السيدةِ عائشة رضي الله عنها، وهي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طُبَّ(٢)، حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ قَدْ صَنَعَ الشَّيءَ وَمَا صَنَعَهُ(٣)، وَإِنَّهُ دَعَا رَبَّهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟(٤)»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «جَاءَنِي رَجُلَانِ(٥)، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ(٦). قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ(٧)؟ قَالَ: فِيمَا ذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ(٨)، وَجُفِّ طَلْعَةٍ(٩). قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي ذَرْوَانَ، وَذَرْوَانُ: بِئْرٌ فِي بَنِي زُرَيْقٍ(١٠)». قَالَتْ: فَأَتَاهَا(١١) رَسُولُ

---

(١) الشفا (ص٧١٩).

(٢) بضم الطاء المهملة وتشديد الموحدة، أي: سحر. انظر: إرشاد الساري (٩/٢٢١).

(٣) أي: جامع نساءه وما جامعهن، فإذا دنا منهنّ، أخذته أخذةُ السحر، فلم يتمكن مِن ذلك. انظر: إرشاد الساري (٨/٤٠٦).

(٤) أي: أجابني فيما دعوته، فأطلق على الدعاء: استفتاء؛ لأن الداعي طالبٌ، والمجيب مفت، أو المعنى: أجابني بما سألته عنه؛ لأن دعاءه كان أن يطلعه الله على حقيقة ما هو فيه لما اشتبه عليه من الأمر. انظر: فتح الباري (١٠/٢٣٨).

(٥) أي: ملكان في صفة رجلين. انظر: إرشاد الساري (٩/٦٣).

(٦) المطبوب: المسحور، يُقال: "طب الرجل" إذا سُحِر، فكنوا بالطب عن السحر. انظر: شرح صحيح مسلم (٥/٣٤٧).

(٧) رجل من بني زريق، حليف اليهود، وكان منافقًا. انظر: إرشاد الساري (٩/٢٢٢).

(٨) المُشْط: الآلة المعروفة. والـمُشَاطة: ما يخرج من الشعر بالمشط. انظر: إرشاد الساري (٩/٢٢٢).

(٩) هو وعاء طلع النخل، وهو الغشاء الذي يكون عليه، ويطلق على الذكر والأنثى. انظر: شرح صحيح مسلم (٥/٣٤٨).

(١٠) بنو زريق: بطنٌ من الأنصار مشهور من الخزرج، وكان بين كثيرٍ مِن الأنصار وبين كثيرٍ مِن اليهودِ قبل الإسلام حلفٌ وإخاء وود، فلما جاء الإسلام ودخل الأنصار فيه، تبرءوا منهم. انظر: فتح الباري (١٠/٢٣٧).

(١١) أي: البئر.

اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَ: «واللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ[١]، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ[٢]». قَالَتْ: فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهَا عَنِ الْبِئْرِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهَلاَّ أَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا[٣]»[٤].

ويَيَّنَ القاضي عياض أنَّ ما وَرَدَ مِن أنه ﷺ كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله: أنه ليس في هذا ما يُدْخِلُ عليه داخلةً في شيءٍ مِن تبليغِه أو شريعتِه، أو يَقدح في صدقه؛ لقيام الدليل والإجماع على عصمته مِن هذا؛ وأنَّ مجال هذا التخيل: هو في الأمور المتعلقة بدنياه التي لم يُبْعَث بسببها، ولا فُضِّل مِن أجلها؛ بل هو ﷺ فيها عُرْضَةٌ للآفات كسائر البشر؛ فغير بعيد أنْ يخيل إليه مِن أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلي عنه كما كان[٥].

وقد يكون المعنى: أنه ﷺ كان يتخيل الشيء أنه فعله وما فعله، لكنه تخييل لا يعتقد صحته، لتكون اعتقاداته كلها على السداد، وأقواله على الصحة[٦].

ثم قال القاضي: «قد ظهر لي في الحديثِ تأويلٌ أَجْلَى وأَبْعَد مِن مطاعن ذوي الأضاليل، يُستفاد مِن نَفْسِ الحديث، وهو: أنَّ عبد الرزاق قد روى هذا الحديثَ عن ابن المسيب وعروة بن الزبير، وقال فيه عنهما:" سَحَرَ يهودُ بني زريق رسولَ الله ﷺ، فجعلوه في بئرٍ حتى كاد رسولُ الله ﷺ أن يُنْكِرَ بصره، ثم دله اللهُ على ما صنعوا، فاستخرجه مِن البئر". ورُوِي نحوُه عن الواقدي، وعن عبد الرحمن بن كعب، وعمر بن الحكم. وذكر[٧] عن عطاء الخُراساني، عن يحيى بن يَعْمَر: "حُبِس رسولُ الله ﷺ عن عائشة سنةً، فبينا هو نائم، أتاه ملكان، فقعد أحدُهما عند رأسه، والآخر

(١) أي: في حمرة لونه. والنقاعة: الماء الذي ينقع فيه الحناء. انظر: شرح مسلم (٣٤٨/٥)، وإرشاد الساري (٢٢٢/٩).

(٢) أي: كأن نخل البستان الذي هي فيه: رؤوس الشياطين في بشاعة منظرها وخبثها، ويحتمل أن يراد بـ"رؤوس الشياطين": رؤوس الحيات؛ إذ العرب تسمي بعض الحيات شيطانًا. انظر: إرشاد الساري (٢٢٢/٩).

(٣) أي: باستخراجه فيتعلمونه ويضرون به المسلمين. انظر: إرشاد الساري (٢٢٢/٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجمعة، باب: من انتظر حتى تدفن، رقم الحديث: (٣٢٦٨). وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب السلام، باب: السحر، رقم الحديث: (٢١٨٩).

(٥) انظر: الشفا (ص٧١٩-٧٢٠).

(٦) انظر: الشفا (ص٧٢٠).

(٧) أي: عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (١٤/١١)، رقم الحديث: (١٩٧٦٥).

عند رجليه" الحديث. قال عبد الرزاق: حُبِسَ رسول الله ﷺ عن عائشة خاصةً سنةً حتى أنكر بصره. وروى محمد بن سعد عن ابن عباس: مَرِضَ رسولُ الله ﷺ، فحُبِس عن النساء والطعام والشراب، فهبَطَ عليه ملكان، وذكر القصة. فقد استبان لك مِن مضمون هذه الرواياتِ: أنَّ السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه، لا على قلبه واعتقادِه وعَقْلِه، وأنه إنما أَثَّرَ في بصره، وحَبَسَه عن وطءِ نسائه، وطعامِه، وأَضْعَفَ جسمَه وأمرضه»اهـ[١].

فعلى هذا يكون معنى: "يخيل إليه: أنه يأتي أهله ولا يأتيهن"، أي: يظهر له من نشاطه، ومتقدم عادته، القدرةُ على النساء، فإذا دنا منهن، أصابته أَخْذَةُ السحر، فلم يقدر على إتيانهن، كما يعتري مَن أصيب بعارِضٍ مِن مرضٍ مثلاً منعه مِن إتيان أهله. ويكون معنى قولِ عائشة في الرواية الأخرى: "إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله": أنه مِن باب ما اختل مِن بصره، فيظن أنه رأى شخصاً مِن بعض أزواجه، أو شاهد فعلاً مِن غيره، ولم يكن على ما يُخَيَّلُ إليه؛ لِمَا أصابه في بصره، وضِعْفِ نظره، لا لشيء طَرَأَ عليه في تمييزه[٢].

(١) الشفا (ص٧٢١-٧٢٢).

(٢) انظر: الشفا (ص٧٢٠).

المبحث الثاني
عصمتهم عن الجهل !

سأناقش في هذا المبحث عصمة قلوب الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- عن الجهل بالأمور المتعلقة بالدنيا، وعن الجهل بالأمور المتعلقة بالدين والشرع.

أما أمور الدنيا، فلا يُشترط في حق الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- عصمتهم من معرفة بعض أمورها، أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه، ولا وَصْمَ عليهم فيه؛ إذ هممهم متعلقة بالآخرةِ، وأنبائها، وأمرِ الشريعة وقوانينها، وأمورِ الدنيا تضادها(١).

ولكنه لا يُقال: إنهم لا يعلمون شيئاً مِن أَمْرِ الدنيا؛ فإن ذلك يؤدي إلى الغفلة والبَلَه، وهم مُنَزَّهُون عنه، بل قد أُرْسِلوا إلى أهل الدنيا، وقُلِّدُوا سياستَهم وهدايتَهم والنظرَ في مصالح دينهم ودنياهم، وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور الدنيا بالكلية(٢).

ويدل على ذلك(٣):

١-ما رواه رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ، أنه قَالَ: قَدِمَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَهُمْ يَأْبُرُونَ النَّخْلَ، يَقُولُونَ يُلَقِّحُونَ النَّخْلَ، فَقَالَ: «مَا تَصْنَعُونَ؟» قَالُوا: كُنَّا نَصْنَعُهُ، قَالَ: «لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا» فَتَرَكُوهُ، فَنَفَضَتْ أَوْ فَنَقَصَتْ، قَالَ: فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ»(٤).

وفي رواية: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»(٥).

وفي رواية: «إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللهِ شَيْئًا، فَخُذُوا بِهِ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»(٦).

وهذا محمولٌ على أنه ﷺ قد قاله مِن قِبَلِ نفسه في أمور الدنيا، وظَنّه مَن أحوالها، لا ما قاله مِن قِبَلِ اجتهاده في شرعٍ شرعه وسُنَّةٍ سَنَّها(٧).

---

(١) انظر: الشفا (ص ٦٣١ ، ٧٢٢).

(٢) انظر: الشفا (ص ٦٣١ - ٦٣٢).

(٣) انظر: الشفا (ص ٧٢٣ - ٧٢٤).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي، رقم الحديث: (٢٣٦٢).

(٥) رواه مسلم (٢٣٦٣).

(٦) رواه مسلم (٢٣٦١).

(٧) انظر: الشفا (ص ٧٢٣).

٢-أنه ﷺ لَمَّا نزل بأدنى مياه بدر، قال له الحُباب بن المنذر: أهذا منزِلٌ أنْزَلَكه الله، ليس لنا أن نتقدمه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال ﷺ: «لا، بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، قال: فإنه ليس بمنزل، انهض حتى نأتي أدنى ماءٍ من القوم، فننزله، ثم نُعَوِّرَ ما وراءه من القُلُب، فنشرب ولا يشربون. فقال ﷺ: «أشرت بالرأي»، وفعل ما قاله(١).

٣-أن النبي ﷺ أراد مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة، فاستشار الأنصار، فلما أخبروه برأيهم، رجع عنه.

قال القاضي عياض رحمه الله : «فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا، التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها، يجوز عليه فيه ما ذكرناه؛ إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطَّة، وإنما هي أمورٌ اعتيادية، يعرفها من جرَّبها وجَعَلَها همَّه وشَغَلَ نفسَه بها؛ والنبي ﷺ مشحون القلب بمعرفة الربوبية، ملآن الجوانح بالعلوم الشرعية، مُقَيَّد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية. ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور، ويجوز في النادر فيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها، لا في الكثير المُؤْذِن بالبَلَه والغفلة. وقد تواتر بالنقل عنه ﷺ من المعرفة بأمور الدنيا، ودقائق مصالحها، وسياسة فِرَق أهلها، ما هو معجز في البشر»اهـ(٢).

وأما أمور الدين والشريعة.. فلا يصح على الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أُمروا بالدعوة إليه؛ فما يحصل لهم من العلوم عن طريق الوحي من الله تعالى، فهم يعلمونه علم اليقين، لا يتطرق إليهم الجهل فيه أبداً(٣).

وكذلك تعيين أسمائه الحسنى، وآياته الكبرى، وأمور الآخرة، وأشراط الساعة، وأحوال السعداء والأشقياء، وعِلْمِ ما كان وما يكون مما لا يعلمه الأنبياء إلا بوحي من الله تعالى، ونحو ذلك، فهم معصومون من الجهل فيه(٤).

وذكر القاضي عياض أنَّ الصواب عصمة الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- "قبل النبوة" من الجهل بالله تعالى، وبصفاته سبحانه(٥).

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، طباعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥ هـ (٣٥/٣).

(٢) الشفا (ص ٧٢٤ - ٧٢٥).

(٣) انظر: الشفا (ص ٦٣٢ - ٦٣٣).

(٤) انظر: الشفا (ص ٦٣٣).

(٥) انظر: الشفا (ص٦٢٣).

وأمَّا مَا ورد مِن نصوصٍ تُوهم بظاهرها وقوع الجهل من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فيما لا يجوز عليهم الجهل به من أمور الدين والشرع، فلا يجوز اعتقاده؛ بل هي محمولة على محامل تتناسب مع مبدأ عصمتهم عليهم السلام، وبيان ذلك ما يلي:

أولاً : قول الله في يونس : { فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ } :

وأما قول الله تعالى في يونس عليه السلام: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}[الأنبياء: ٨٧]، فليس المراد به: الشك أو الجهل في صفةٍ من صفات الله تعالى -وهي القدرة-؛ قال القاضي عياض: «ولا يليق أن يُظَنَّ بنبيٍّ أن يَجهل صفةً مِن صفاتِ ربه»اهـ(١).

وإنما معناه: فظن أن لن نُضَيِّق عليه؛ فطَمِع في رحمة الله تعالى وأن لا يُضَيِّق عليه مَسْلَكه في خروجه. وقيل: حَسَّنَ ظنَّه بمولاه أنه لا يَقْضِي عليه العقوبة. وقيل: فظن أن لن نُقَدِّرَ عليه ما أصابه، وقد قُرِئَ: {نُقَدِّر عَلَيْهِ} بالتشديد. وقيل: أن لن نُؤاخذه بغضبه وذهابه. وقيل: أفظن أن لن نقدر عليه؟ على الاستفهام(٢).

وأما عن قوله تعالى: {إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا}، فليس المراد به: مغاضباً لربه -والعياذ بالله تعالى-؛ إذ مغاضبة الله تعالى: معاداةٌ له، ومعاداةُ الله: كفرٌ لا تليق بالمؤمنين، فكيف بالأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام-؟، وإنما يُحْمل على ما يلي(٣):

١-أن معناه: مُغَاضِباً لقومه لكفرهم، وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما، وذكر القاضي عياض: أنه الصحيح.

٢-أن معنى "مُغاضباً": مُسْتَحْيياً من قومه أنْ يَسِمُوه بالكذب أو يقتلوه.

٣-أن معناه: مُغَاضِباً لبعض الملوك فيما أَمَرَه به من التوجه إلى أمرٍ أمره اللهُ به على لسان نبي آخر، فقال له يونس: غيري أقوى عليه مني، فعزم عليه، فخرج لذلك مغاضباً.

وقد روي عن ابن عباس: أن إرسال يونس ونبوته إنما كان بعد أن نبذه الحوت، واستدل من الآية بقوله تعالى: {فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ}[الصافات: ١٤٥-١٤٧]، ويستدل على ذلك أيضاً بقوله تعالى: {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ

---

(١) الشفا (ص ٦١٧).

(٢) انظر: الشفا (ص ٦١٦ – ٦١٧).

(٣) انظر: الشفا (ص ٦١٧ – ٦١٨).

مَكْظُومٌ * لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ}[القلم: ٤٨-٥٠]، فتكون هذه القصة إذاً قبل نبوته.

ثانياً : معنى قوله تعالى : {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} :

ذهب بعضهم إلى أن الأنبياء -عليهم السلام- يقع منهم الجهلُ بصفةٍ مِن صفات الله تعالى؛ واستدل على ذلك: بقول الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ}[الأنعام:٣٥]، أي: لا تكونَنَّ ممن يَجهل أنَّ الله لو شاء لجمعهم على الهدى. واستدل أيضاً: بقوله تعالى لسيدنا نوح عليه السلام : {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}[هود:٤٥-٤٦]، أي: لا تكونن ممَّن يَجهل أنَّ وَعْدَ الله حقٌّ؛ لقوله تعالى: {وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ}؛ إذ فيه إثبات الجهل بصفةٍ مِن صفات الله تعالى(١).

قال القاضي عياض في أبطال هذا القول: «وذلك لا يجوز على الأنبياء؛ والمقصودُ: وَعْظُهُم أن لا يَتَشَبَّهوا في أمورهم بِسِمَاتِ الجاهلين، كما قال: {إِنِّي أَعِظُكَ}. وليس في آيةٍ منها دليلٌ على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها؛ فكيف وآية نوح قبلها: {فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ}، فَحَمْلُ ما بعدها على ما قبلها أولى؛ لأن مثل هذا قد يحتاج إلى إذن. وقد تجوز إباحة السؤال فيه ابتداء، فنهاه الله أن يسأله عما طوى عنه علمه، وأكنه مِن غيبه من السبب الموجِب لهلاك ابنه؛ ثم أكمل الله تعالى نعمتَه عليه بإعلامه ذلك بقوله: {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ}، حكى معناه مَكِيٌّ.

كذلك أُمِرَ نبينا في الآية الأخرى بالتزام الصبر على إعراض قومه، ولا يَحْرَجُ عند ذلك، فيقارِبَ حالَ الجاهل بشدة التحسُّر؛ حكاه أبو بكر بن فورك. وقيل: معنى الخطاب لأمة محمد ﷺ، أي: فلا تكونوا من الجاهلين؛ حكاه أبو محمد مكي، وقال: مثله في القرآن كثير. فبهذا الفضل وجب القول بعصمة الأنبياء منه بعد النبوة قطعاً»اهـ(٢).

---

(١) انظر: الشفا (ص ٦٢٠).

(٢) الشفا (ص ٦٢٠ - ٦٢١).

المبحث الثالث
عصمتهم من الضلال

قد يظن ظانٌّ أن قلوبَ الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- غيرُ معصومة من الوقوع في الضلال -حشاهم من ذلك-، ومنشأ هذا الظنِّ فهمٌ خاطئٌ لبعض الآيات التي في ظاهرها وعيدٌ أو تحذيرٌ لهم، ومنها: قوله تعالى: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[الزمر: ٦٥]. وقوله تعالى: {وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ}[يونس:١٠٦]. وقوله تعالى: {وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا}[الإسراء: ٧٤-٧٥]. وقوله تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ}[الحاقة: ٤٤-٤٦]. وقوله تعالى: {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ}[الأنعام: ١١٦]. وقوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}[الشورى: ٢٤]. وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}[المائدة:٦٧]. وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}[الأحزاب:١] [(١)].

قال القاضي عياض رحمه الله: «فاعلم وفقنا الله وإياك: أنه ﷺ لا يصح ولا يجوز عليه أن لا يُبَلِّغ، وأن يخالف أَمْرَ ربه، ولا أن يُشْرِكَ به، ولا يَتَقَوَّل على الله ما لا يُحِبُّ، أو يفتري عليه، أو يضل، أو يُخْتَم على قلبه، أو يطيع الكافرين؛ لكن الله تعالى يَسَّرَ أمره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين، وأن إبلاغه -إن لم يكن بهذه السبيل- فكأنه ما بَلَّغَ؛ فطَيَّب نفسَه، وقَوَّى قلبَه بقوله: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}، كما قال لموسى وهارون: {لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا}[طه: ٤٦]، لتَشْتَدَّ بصائرهم في الإبلاغ، وإظهار دين الله، ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس»اهـ[(٢)].

وأما قوله تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ}، وقوله تعالى: {إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ}، فمعناه: أن هذا جزاء مَن فعل هذا، وجزاؤك لو كنتَ ممن يفعله -وهو لا يفعله-[(٣)].

---

(١) انظر: الشفا (ص ٦٢٢).

(٢) الشفا (ص ٦٢٢).

(٣) انظر: الشفا (ص ٦٢٢).

وكذلك قول الله تعالى: {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}، فالمراد: غيره ﷺ، كما قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} [آل عمران: ١٤٩][(١)].

وأما عن قول الله تعالى: {فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ}، وقوله تعالى: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} وما أشبه ذلك، فالمراد به: غير النبي ﷺ، وأن هذه حالُ مَن أشرك، والنبي ﷺ لا يجوز عليه هذا[(٢)].

وأما قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}، فليس فيه أنه ﷺ أطاعهم؛ ومع ذلك فإن الله تعالى ينهاه عما يشاء، ويأمره بما يشاء، كما قال الله تعالى: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ}[الأنعام: ٥٢]، وما كان طردهم ﷺ، ولا كان من الظالمين[(٣)].

الأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة :

ورجح القاضي عياض عصمة الأنبياء عليهم السلام "قبل النبوة" من الجهل بالله وصفاته، والشك في شيء من ذلك. وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا، ونشأتهم على التوحيد والإيمان، بل على إشراق أنوار المعارف؛ ولم يَنْقُل أحدٌ مِن أهل الأخبار أنَّ أحداً نُبِّئَ واصطُفِي ممن عُرِفَ بكفرٍ وإشراكٍ قبل ذلك[(٤)].

وقد رَمَتْ قريشٌ نبيَّنَا بكل ما افترته، وعَيَّرَ كفارُ الأمم أنبياءَها بكل ما أمكنها واخْتَلَقَتْه، ولم نجد في شيءٍ من ذلك تعييراً لواحدٍ منهم برفضه آلهته، وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه؛ ولو كان هذا، لكانوا بذلك متبادرين، ويتلونه في معبوده محتجِّين، ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل، أفظع وأقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل. ففي إطباقهم على الإعراض عنه، دليلٌ على أنهم لم يجدوا سبيلاً إليه؛ إذ لو كان، لنُقِل،

---

(١) انظر: الشفا (ص ٦٢٢).

(٢) انظر: الشفا (ص ٦٢٣).

(٣) انظر: الشفا (ص ٦٢٣).

(٤) انظر: الشفا (ص ٦٢٣ – ٦٢٤).

وما سكتوا عنه، كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة، وقالوا: {مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا}[البقرة:١٤٢] كما حكاه الله تعالى عنهم(١).

وقد استُدِل أيضاً على تنزيههم عن هذا: بقول الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا}[الأحزاب: ٧]، وقوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}[آل عمران: ٨١]، وبعيدٌ أن يأخذ منه الميثاق قبل خَلْقِه، ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونَصْرِه قبل مولده بدهور، ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب؛ وكيف يكون ذلك وقد أتاه جبريل عليه السلام وشق قلبه صغيراً، واستخرج منه علقة، وقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله، وملأه حكمة وإيماناً(٢).

ولا يُبْطِل ما تقدم قولُ سيدنا إبراهيم -عليه السلام- في الكوكب والقمر والشمس: {هَذَا رَبِّي}[الأنعام:٧٦]؛ لأنه قيل: إن ذلك كان في سن الطفولية، وابتداء النظر والاستدلال، وقبل لزوم التكليف. وذهب معظم الحذاق من العلماء المفسرين: إلى أنه إنما قال ذلك مُبَكِّتاً لقومه، ومستدلاً عليهم. وقيل: معناه الاستفهام الوارد مورد الإنكار. ويدل على أنه لم يعبد شيئاً من ذلك، ولا أشرك قط بالله طرفة عين: قولُ الله -تعالى- عنه: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ}[الشعراء: ٧٠-٧٧]. وقوله تعالى: {إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}[الصافات: ٨٤]، أي: من الشرك. وقول الله تعالى: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ}[إبراهيم:٣٥](٣).

ومعنى قوله: {لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ}[الأنعام: ٧٧]، أنه إن لم يؤيدني الله بمعونته، أكن مثلكم في ضلالتكم وعبادتكم، على معنى الإشفاق والحذر، وإلا فهو معصوم في الأزل من الضلال(٤).

معنى قوله تعالى : {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى} :

---

(١) انظر: الشفا (ص ٦٢٣ - ٦٢٤).

(٢) انظر: الشفا (ص ٦٢٤ - ٦٢٥).

(٣) انظر: الشفا (ص ٦٢٥).

(٤) انظر: الشفا (ص ٦٢٥ - ٦٢٦).

وأما قول الله تعالى لنبينا محمد ﷺ: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى}[الضحى: ٧]، فليس المقصود مِن "الضلال": الكفر(١).

قال القاضي عياض: «ولا أعلم أحداً قال من المفسرين فيها: ضالاً عن الإيمان»اهـ(٢).

وقيل في معنى {ضَالًّا}: ضالاً عن النبوة، فهداك إليها. وقيل: وجدك بين أهل الضلال، فعصمك من ذلك، وهداك للإيمان وإلى إرشادهم. وقيل: ضالاً عن شريعتك -أي: لا تعرفها- فهداك إليها؛ والضلال هنا التحير، ولهذا كان ﷺ يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه، ويتشرَّع به حتى هداه إلى الإسلام. وقيل: لا تعرف الحق، فهداك إليه؛ وهذا مثل قوله تعالى: {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}[النساء: ١١٣](٣).

وأيضاً ليس المقصود من "الضلال" المعصية، قال ابن عباس: لم تكن له ضلالة معصية. وقيل في معنى {فَهَدَى} أي: بَيَّن أمرك بالبراهين. وقيل: وجدك ضالاً بين مكة والمدينة، فهداك إلى المدينة. وقيل: وجدك فهدى بك ضالاً. وقال جعفر بن محمد: ووجدك ضالاً عن محبتي لك في الأزل -أي: لا تعرفها-، فمننتُ عليكَ بمعرفتي. وقيل: ووجدك ضالاً أي: مُحِباً لمعرفتي، والضال: المحب، كما قال تعالى: {إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ}[يوسف: ٩٥]، أي محبتك القديمة. وقال الجنيد: ووجدك متحيراً في بيان ما أُنْزِل إليك، فهداك لبيانه. وقيل: وجدك لم يعرفك أحد بالنبوة حتى أظهرك، فهدى بك السعداء(٤).

قصة زيد بن حارثة مع زينب بنت جحش رضي الله عنهما :

قال الله تعالى: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا * مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا * الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا * مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}[الأحزاب: ٣٧-٤٠].

---

(١) انظر: الشفا (ص ٦٢٦).
(٢) الشفا (ص ٦٢٨).
(٣) انظر: الشفا (ص ٦٢٦ - ٦٢٧).
(٤) انظر: الشفا (ص ٦٢٦ - ٦٢٧).

ذكر القاضي عياض أن أصح ما قيل في بيان هذه الآيات: أن الله تعالى كان أعلم نبيه ﷺ أن زينب بنت جحش ستكون من أزواجه، فلما شكاها إليه زيد بن حارثة، قال له ﷺ: {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ} الآية، وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به مِن أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها؛ ونقل عن الزهري أنه قال: نزل جبريل على النبي ﷺ يعلمه أن الله يزوجه زينب بنت جحش، فذلك الذي أخفى في نفسه. ثم قال القاضي عياض: «ويصحح هذا: قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا: {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا}[الأحزاب: ٣٧]، أي: لا بد لك أن تتزوجها. ويوضح هذا: أن الله لم يبد مِن أمره معها غيرَ زواجه إياها، فدل أنه الذي أخفاه -عليه السلام- مما كان أعلمه الله تعالى به. وقوله تعالى في القصة: {مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا}[الأحزاب: ٣٨]، الآية، فدل أنه لم يكن عليه حرج في الأمر»(١).

وليس معنى "الخشية" هنا: الخوف، وإنما معناه: الاستحياء، أي: يستحيي منهم أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه؛ وأن خشيته ﷺ مِن الناس كانت من إرجاف المنافقين واليهود، وتشغيبهم على المسلمين بقولهم: "تزوج محمد زوجة ابنه"، بعد نهيه عن نكاح حلائل الأبناء كما كان، فعتبه الله -عز وجل- على هذا، ونزهه عن الالتفات إليهم فيما أحله له، كما عتبه على مراعاة رضا أزواجه في سورة التحريم بقوله: {لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} الآية [التحريم:١]، كذلك قوله: له هاهنا: {وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ}[الأحزاب: ٣٧](٢).

ولو كان -على ما رُوي- مِن وقوعها من قلب النبي ﷺ عند ما أعجبته، ومحبته طلاق زيد لها، لكان فيه أعظم الحرج، وما لا يليق به مِن مَدِّه عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا، ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه، ولا يتسم به الأتقياء، فكيف سيد الأنبياء؟(٣)

وكيف يقال: رآها ﷺ فأعجبته وهي بنت عمته، ولم يزل يراها منذ وُلدت، ولا كان النساء يحتجبن منه ﷺ قبل النبوة وبعدها، هذا وهو زوَّجها لزيد بن حارثة. وإنما جعل الله طلاق زيد لها، وتزويج النبي ﷺ إياها؛ لإزالة حرمة التبني، وإبطال سنته؛ كما قال الله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ} الآية [الأحزاب:٤٠]، وقال

(١) الشفا (ص ٧٢٩).

(٢) نقله القاضي عياض عن الشيخ أبي بكر بن فورك. انظر: الشفا (ص ٧٣١).

(٣) انظر: الشفا (ص ٧٣٠).

تعـالى: {لِكَـيْ لَا يَكُـونَ عَلَـى الْمُـؤْمِنِينَ حَـرَجٌ فِـي أَزْوَاجِ أَدْعِيَـائِهِمْ} الآيـة [الأحزاب: ٣٧](١).

فإن قيل: فما الفائدة في أَمْر النبي ﷺ لزيد بإمساكها؟

فالجواب: أن الله أعلم نبيه أنها زوجته، فنهاه النبي ﷺ عن طلاقها؛ إذ لم تكن بينهما ألفة، وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به، فلما طلقها زيد خشي النبيُّ قولَ الناس: يتزوج امرأة ابنه، فأمره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لأمته؛ كما قال تعالى: {لِكَـيْ لَا يَكُـونَ عَلَـى الْمُـؤْمِنِينَ حَـرَجٌ فِـي أَزْوَاجِ أَدْعِيَـائِهِمْ إِذَا قَضَـوْا مِـنْهُنَّ وَطَرًا}[الأحزاب: ٣٧](٢).

معنى قوله تعالى : {فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ}(٣):

وأما قول الله تعالى في قصة سيدنا موسى عليه السلام: {فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ}[الشعراء: ٢٠]، أي: من المخطئين الفاعلين شيئاً بغير قصد.

وقيل: معناه من الناسين، كما قال الله تعالى: {أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى}[البقرة: ٢٨٢].

معنى قوله تعالى : {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ}(٤):

وأما قول الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ : {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ}[الشورى: ٥٢]، فمعناه: ما كنتَ تدري –قبل الوحي– أن تقرأ القرآن، ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان.

وأحسن ما قيل فيه: {وَلَا الْإِيمَانُ} الذي هو الفرائض والأحكام، فكان النبي ﷺ قَبْلُ مؤمناً بتوحيده، ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل، فزاد بالتكليف إيماناً.

معنى قوله تعالى : {وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} :

وأما قول الله تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ}[يوسف: ٣]، فليست الغفلة هنا بمعنى قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[يونس: ٧-٨]، وإنما معنى ذلك: وإن كنتَ لمن الغافلين عن قصة يوسف عليه السلام؛ إذ لم تعلمها إلا بوحينا(٥).

---

(١) انظر: الشفا (ص ٧٣٠-٧٣١).

(٢) نقله القاضي عياض عن الشيخ أبي الليث السمرقندي. انظر: الشفا (ص ٧٣١).

(٣) انظر: الشفا (ص ٦٢٨).

(٤) انظر: الشفا (ص ٦٢٨ - ٦٢٩).

(٥) انظر: الشفا (ص ٦٢٩).

المبحث الرابع
عصمتهم من الشيطان

الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ وكفايته من الشيطان الرجيم، فلا يتسلط عليه في جسمه بأنواع الأذى، ولا على خاطره وقلبه بالوساوس(١).

وقد قال النبي ﷺ : «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»(٢).

رُوِي: «فأسلمُ» بضم الميم، أي: فأسلمُ أنا منه، ورُوِي: «فأسلمَ» بفتح الميم، يعني: القرين، أنه انتقل عن حال كفره إلى الإسلام، فصار لا يأمر إلا بخير، كالمَلَك، وهو ظاهر الحديث(٣).

فإذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المُسَلَّطِ على بني آدم، فكيف بمَن بَعُدَ منه مِن الشياطين، ولم يلزم صحبتَه، ولا أُقْدِر على الدُّنوِّ منه؟! وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطنٍ؛ رغبةً في إطفاءِ نوره، وإماتةِ نفسه، وإدخالِ شُغْلٍ عليه، فيئسوا من إغوائه ﷺ، فانقلبوا خاسرين؛ كتعرض الشيطان له في صلاته، فأخذه النبي ﷺ وأَسَرَه؛ وكذلك طلبُ عفريتٍ له بشعلة نار في رحلة الإسراء، فعَلَّمَه جبريل ما يتعوذ به منه. ولَمَّا لمْ يقدر على أذاه بمباشرته، تسبب بالتوسط إلى عِدَاه، كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل النبي ﷺ، وتصوره في صورة الشيخ النجدي، ومرة أخرى في غزوة بدر في صورة سراقة بن مالك، ومرة يُنْذِرُ بشأنه عند بيعة العقبة؛ وكل هذا فقد كفاه الله أمره، وعصمه ضرَّه وشرَّه(٤).

وأما قول الله تعالى: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[الأعراف: ٢٠٠]، فقد اختلفوا في المراد منه(٥):

فقيل: إنه راجِعٌ إلى قول الله تعالى: {وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[الأعراف: ١٩٩]، فمعنى قوله تعالى: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ} أي: يَسْتَخِفَّنَّك غضبٌ يَحْمِلكَ على تَرْكِ الإعراض عن الجاهلين، فاستعذ بالله تعالى.

---

(١) انظر: الشفا (ص ٦٣٥).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً، رقم الحديث: (٢٨١٤).

(٣) انظر: الشفا (ص ٦٣٥ - ٣٦٦).

(٤) انظر: الشفا (ص ٣٦٦ - ٣٦٧).

(٥) انظر: الشفا (ص ٣٦٨).

وقيل: النَّزْعُ هنا: الفسادُ، كما قال الله تعالى: {مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي} [يوسف:١٠٠] أي: أفسد. وقيل: باعد.
وقيل: معنى: {يَنْزَغَنَّكَ} يُغْرِيَنَّك ويُحَرِّكَنَّك. والنزع: أدنى الوسوسة، فأمره الله تعالى أنه متى تحرك عليه غَضَبٌ على عدوه، أو رام الشيطان من إغرائه به وخواطر أداني وساوسه ما لم يُجْعَل له سبيلٌ إليه، أن يستعيذ منه، فيُكْفَى أَمْرَه، ويكون ذلك سبب تمامِ عصمته؛ إذ لم يُسَلَّط عليه بأكثر من التعرض له، ولم يُجْعل له قدرةٌ عليه. وقد قيل في هذه الآية غير هذا.
معنى قوله تعالى : { أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ } :
فإن قيل: فما معنى قول الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[الحج: ٥٢] ؟
فالجواب: أن للناس في معنى هذه الآية أقاويل، وأولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين: من أن "التمني" ههنا: التلاوة، وأن "إلقاء الشيطان فيها": شَغله بخواطر وأذكار مِن أمور الدنيا للتَّالي حتى يُدْخِلَ عليه الوهم والنسيان فيما تلاه، أو يدخل غير ذلك على أفهام السامعين من التحريف، وسوءِ التأويل ما يزيله الله وينسخه، ويكشف لبسه، ويُحكم آياته[١].
قول النبي ﷺ حين نام على الصلاة يوم الوادي : « إن هذا واد به شيطان » :
روى الإمام مالك عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّهُ قال: «عَرَّسَ[٢] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً بِطَرِيقِ مَكَّةَ، وَوَكَّلَ بِلالاً أَنْ يُوقِظَهُمْ لِلصَّلاَةِ، فَرَقَدَ بِلاَلٌ وَرَقَدُوا؛ حَتَّى اسْتَيْقَظُوا وَقَدْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمُ الشَّمْسُ، فَاسْتَيْقَظَ الْقَوْمُ، وَقَدْ فَزِعُوا، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَرْكَبُوا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا وَادٍ بِهِ شَيْطَانٌ، فَرَكِبُوا حَتَّى خَرَجُوا مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي. ثُمَّ أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْزِلُوا وَأَنْ يتوضـؤوا، وَأَمَرَ بِلاَلاً أَنْ يُنَادِيَ بِالصَّلاَةِ أَوْ يُقِيمَ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ رَأَى مِنْ فَزَعِهِمْ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَنَا، وَلَوْ شَاءَ لَرَدَّهَا إِلَيْنَا فِي حِينٍ غَيْرِ هَذَا، فَإِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلاَةِ أَوْ نَسِيَهَا، ثُمَّ فَزِعَ إِلَيْهَا، فَلْيُصَلِّهَا كَمَا كَانَ يُصَلِّيهَا فِي وَقْتِهَا. ثُمَّ الْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ أَتَى بِلاَلاً وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَأَضْجَعَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُهَدِّئُهُ كَمَا يُهَدَّأُ الصَّبِيُّ حَتَّى نَامَ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ

(١) انظر: الشفا (ص ٣٦٩).
(٢) التعريس: نزول المسافر آخر الليل للنوم والاستراحة.

اللَّهِ ﷺ بِلاَلاً، فَأَخْبَرَ بِلاَلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ الَّذِي أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ»(١).

قوله النبي ﷺ: «إن هذا واد به شيطان»، ليس فيه ذِكْرُ تسلطه على قلبه؛ فقد بيَّن النبي ﷺ أَمْرَ ذلك الشيطان بقوله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ أَتَى بِلاَلاً وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَأَضْجَعَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُهَدِّئُهُ كَمَا يُهَدَّأُ الصَّبِيُّ حَتَّى نَامَ»، فأَعْلَمَ ﷺ أن تسلط الشيطان في ذلك الوادي إنما كان على بلال الموكل بإيقاظهم لصلاة الفجر(٢).

ونبَّه القاضي عياض على أن ما ذُكر من توجيهٍ إنما يتأتَّى إذا جعلنا قوله ﷺ: «إن هذا واد به شيطان» تنبيهاً على سبب النوم عن الصلاة؛ وأما إذا جعلناه تنبيهاً على سبب الرحيل عن الوادي، وعلةً لِتَرْكِ الصلاة به -وهو دليل مساق حديث زيد بن أسلم-، فلا اعتراض به في هذا الباب، لبيانه وارتفاع إشكاله(٣).

قوله تعالى: {وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ}، {فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ}، {هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ}:

فإن قلت: فما معنى قوله تعالى عن يوشع -عليه السلام-: {وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ}[الكهف:٦٣]، وقوله سبحانه عن يوسف -عليه السلام- : {فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ}[يوسف:٤٢]، وقول موسى -عليه السلام- في وكزته: {هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ}[القصص: ١٥]؟

فالجواب: أن هذا الكلام قد يَرِدُ على مَوْرِدِ مُسْتَمَرِّ كلام العرب في وصفهم كل قبيح -من شخصٍ أو فِعْلٍ- بالشيطان أو فِعْلِهِ، كما قال الله تعالى عن شجرة الزقوم: {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} [الصافات: ٦٥]، وقال النبي ﷺ في حديث المار بين يدي المصلي: «فليقاتله، فإنما هو شيطان»(٤)(٥).

وأيضاً قول يوشع -عليه السلام- كان قبل نبوته؛ لأن نبوته كانت بعد موت موسى -عليه السلام- كما هو مروي، وقيل: كانت قُبَيل موته. وكذلك قول موسى -عليه

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ، باب النوم عن الصلاة، رقم الحديث: (٢٧).

(٢) انظر: الشفا (ص ٦٤١).

(٣) انظر: الشفا (ص ٦٤١).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب يرد المصلي من مر بين يديه، رقم الحديث: (٥٠٩)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب منع المار بين يدي المصلي، رقم الحديث: (٥٠٥).

(٥) انظر: الشفا (ص ٦٤٠).

السـلام- : {هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّـهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ}، كـان قبـل نبوتـه بـدليل القرآن[١].

وذكر العلماء أن قصة يوسف -عليه السلام- قد كانت قبل نبوته.

واختلف المفسرون في قول الله تعالى: {فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ}، ومما قالوا فـي تفسيرها: إن الـذي أنسـاه الشـيطانُ ذِكْرَ ربـه هـو أَحَدُ صـاحِبَي السـجن؛ والمـراد مِـن "ربه": المَلِك، أي: أنساه الشيطان أن يذكر للمَلِك شأنَ يوسف -عليه السلام-[٢].

قال القاضي عياض: «فإن مثل هذا مِن فِعْلِ الشيطان، ليس فيـه تسلط علـى يوسف -عليـه السـلام- ويوشـع بوسـاوس ونَـزْغٍ؛ وإنمـا هـو بشَـغْل خواطرهمـا بـأمور أخـر، وتذكيرهما من أمورهما ما يُنْسِيهما ما نسيا»[٣].

---

(١) انظر: الشفا (ص ٦٤٠).

(٢) انظر: الشفا (ص ٦٤٠ - ٦٤١).

(٣) الشفا (ص ٦٤١).

المبحث الخامس

هل الأنبياء معصومون عن السهو والنسيان ؟

لا يقدح وقوع السهو والنسيان من الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- بعصمة قلوبهم؛ حيث إن أحوالهم -عليهم الصلاة والسلام- بما يتعلق بوقوع السهو والنسيان منهم تنقسم إلى قسمين[١]:

- القسم الأول : ما طريقه البلاغ، وتقرير الشرع، وتعلق الأحكام، وتعليم الأمة.

فإما أن يقع السهو والنسيان في هذا القسم في "أقوالهم"، وإما أن يقع في "أفعالهم".

فأما "أقوالهم"، فهم معصومون من وقوع السهو والنسيان فيها؛ لأن ذلك يُوجِب التشكيك في الدين، ويسبب المطاعن فيه. قال القاضي عياض: «وأما "أقواله" -عليه السلام- فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه، وأجمعت الأمة -فيما كان طريقه البلاغ- أنه معصوم فيه مِن الإخبار عن شيءٍ منها بخلاف ما هو به، لا قصداً ولا عمداً، ولا سهواً ولا غلطاً. أما تعمد الخلف في ذلك، فمنتف؛ بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله: "صَدَقَ فيما قال" اتفاقاً، وبإطباق أهل الملة إجماعاً»[٢].

فالسهو ممتنع على الأنبياء -عليهم السلام- في "الأخبار البلاغية"، كقولهم: الجنة أُعِدَّت للمتقين، وعذاب القبر واجب؛ وممتنع عليهم في "الأخبار غيرِ البلاغية"، كقام زيد، وقعد عمرو، وهكذا. وأما النسيان فهو ممتنع عليهم في "الأخبار البلاغية" قبل تبليغها، وأمَّا بعد التبليغ فيجوز نسيان ما ذُكِرَ، من الله تعالى[٣]؛ وأما النسيان بسبب الشيطان، فمستحيل عليهم؛ إذ ليس للشيطان عليهم سبيل[٤].

وأما "أفعالهم"، فذهب أكثر العلماء إلى جواز وقوع السهو والنسيان منهم فيها، وليس في ذلك قَدْحٌ في نبوتهم ورسالتهم -عليهم الصلاة والسلام-، وإنما يفيد ذلك علماً

---

(١) انظر: الشفا (ص ٦٧٥ - ٦٧٧).

(٢) الشفا (ص ٦٤٢).

(٣) أي: وليس بسبب الشيطان.

(٤) انظر: تحفة المريد للشيخ الباجوري (ص ٢٩٢).

وتقريراً لأحكام الشرع، كالأحكام المتعلقة بسجود السهو في الصلاة. واشترط المُجَوِّزون لذلك: أن لا يُقَرّوا على ذلك، بل ينبهون عليه، ويعرّفون حكمه بالفور، وهذا هو الصحيح، وذهب بعض العلماء إلى أن التعريف ليس على الفور، بل يمتد إلى قبل انقراضهم[١].

- القسم الثاني : ما ليس طريقُه البلاغَ، ولا بيانَ الأحكام من أفعالهم -عليهم السلام-، وما يختصون به من أمور دينهم، مما لم يفعلوه؛ ليُتَّبعوا فيه.

فالأكثر من طبقات علماء الأمة على جواز السهو والنسيان عليهم في ذلك؛ ولِمَا يواجه الأنبياء من مقاساة الخلق وسياسات الأمة ومعاناة الأهل وملاحظة الأعداء. ولكن هذا لا يكون على سبيل التكرار ولا الاتصال، بل على سبيل الندور. وليس في هذا شيء يحط من رتبة الأنبياء ويناقض معجزاتهم عليهم الصلاة والسلام.

وما تقدم ذكره من تفصيلٍ هو ما عليه الأكثر من الفقهاء والمتكلمين.

وذهبت طائفة إلى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات على الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- جملة، وهو مذهب جماعة المتصوفة وأصحاب علم القلوب والمقامات[٢].

- توجيه الأحاديث الواردة في سهو النبي ﷺ في الصلاة:

الأحاديث الواردة في سهو نبينا ﷺ في الصلاة ثلاثة أحاديث، وهي ما يلي:

١-عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة العصر، فسلم في ركعتين، فقام ذو اليدين فقال: أقصرت الصلاة يا رسول الله أم نسيت؟ فقال رسول الله ﷺ: "كل ذلك لم يكن"، فقال: قد كان بعض ذلك يا رسول الله، فأقبل رسول

---

(١) انظر: الشفا (ص ٦٧٦).

(٢) انظر: الشفا (ص ٦٧٧).

الله ﷺ على الناس فقال: "أصدق ذو اليدين؟" فقالوا: نعم يا رسول الله. فأتم رسول الله ﷺ ما بقي من الصلاة، ثم سجد سجدتين، وهو جالس، بعد التسليم»[١].

٢-عن عبد الله ابن بُحَيْنَةَ رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ قام في صلاة الظهر وعليه جلوس، فلَمَّا أَتَمَّ صلاته، سجد سجدتين، يكبر في كل سجدة وهو جالس، قبل أن يسلم، وسجدهما الناس معه، مكان ما نسي من الجلوس»[٢].

٣-عن عبد الله بن مسعود رضي الله: «أن النبي ﷺ صلى الظهر خمساً، فلمَّا سلم، قيل له: أزيد في الصلاة؟ قال: "وما ذاك؟" قالوا: صليت خمساً؛ فسجد سجدتين»[٣].

وذكر القاضي عياض أن هذه الأحاديث مبنيةٌ على السهو في الفعل لا في القول، وحكمة الله فيه ذلك: لِيُسْتَنَّ به؛ إذ البلاغ بالفعل أَجْلَى منه بالقول، وأرفعُ للاحتمال؛ وشرطه -كما تقدم-: أن لا يُقَرَّ على السهو، بل يُشْعَرُ به؛ ليرتفع الالتباس، وتظهر فائدة الحكمة فيه[٤].

فالحاصل: أن النسيان والسهو في الفعل في حقه ﷺ غير مضاد للمعجزة، ولا قادح في التصديق. وذهبت طائفة من أصحاب المعاني والكلام على الحديث إلى أن النبي ﷺ كان يسهو في الصلاة ولا ينسى؛ لأن النسيان ذهولٌ وغفلةٌ وآفةٌ. وذهبت طائفة إلى منع هذا كله عنه، وقالوا: إن سهوه ﷺ كان عمداً وقصداً لِيَسُنَّ[٥].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب السهو، باب إذا سلم في ركعتين أو في ثلاث فسجد سجدتين مثل سجود الصلاة أو أطول، رقم الحديث: (١٢٢٧)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم الحديث: (٥٧٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب التشهد في الأولى، رقم الحديث: (٨٣٠)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم الحديث: (٥٧٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب السهو، باب إذا صلى خمساً، رقم الحديث: (١٢٢٦)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم الحديث: (٥٧٢).

(٤) انظر: الشفا (ص ٦٧٩).

(٥) انظر: الشفا (ص ٦٧٨ - ٦٧٩).

قال القاضي عياض في الاعتراض على القول الثاني والثالث: «وهذا[١] قولٌ مرغوبٌ عنه، مُتَنَاقِضُ المقاصد، لا يُحْلَى منه بطائل؛ لأنه كيف يكون متعمداً ساهياً في حال؟! ولا حجة لهم في قولهم: إنه أُمِرَ بتعمد صورة النسيان لِيَسُن ﷺ؛ لقوله: "إِنِّي لأَنْسَى أَوْ أُنَسَّى لأَسُنَّ"[٢]، وقد أثبت أحد الوصفين، ونفى مناقضة التعمد والقصد. وقال: "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، [فإذا نَسِيْتُ فَذَكِّروني]"[٣]. وقد مال إلى هذا عظيمٌ مِن المحققين مِن أئمتنا، وهو أبو المظفَّر الإسفراييني، ولم يرتضه غيرُه منهم، ولا أرتضيه.

ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله: "إني لا أنسى ولكن أُنَسَّى"؛ إذ ليس فيه نفيُ حكم النسيان بالجملة، وإنما فيه نفيُ لفظه، وكراهَةُ لقبله؛ كقوله: "بئس ما لأحدكم أن يقول: نَسيتُ آية كذا، ولكنه نُسِّيَ"[٤]. أو نفى الغفلة وقلة الاهتمام بأمر الصلاة عن قلبه، لكن شُغِلَ بها عنها، ونسي بعضها ببعضها. كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها، وشُغِل بالتحرز من العدو عنها. فشُغِل بطاعة عن طاعة»اهـ[٥].

---

(١) أي: القول الثالث.

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ، باب العمل في السهو، رقم الحديث: (٢٦٤). وصححه القاضي عياض في الشفا (ص٦٦٣)، قال ابن عبد البر: «أما هذا الحديث بهذا اللفظ، فلا أعلمه يُروى عن النبي ﷺ بوجه من الوجوه مسنداً ولا مقطوعاً من غير هذا الوجه والله أعلم، وهو أحد الأحاديث الأربعة في الموطأ التي لا تُوجد في غيره مسندة ولا مرسلة والله أعلم، ومعناه صحيح في الأصول» اهـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، طباعة وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، الطبعة الأولى، سنة ١٣٨٧ هـ.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، رقم الحديث: (٤٠١)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم الحديث: (٥٧٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه بلفظ: «بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ نُسِّيَ وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنْ النَّعَمِ»، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، رقم الحديث: (٥٠٣٢).

(٥) الشفا (ص ٦٨٠).

وأما نومه ﷺ عن الصلاة يوم الوادي[١]، وقوله ﷺ : «إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»[٢]، فللعلماء عن ذلك أجوبة، منها[٣]:

١-أنَّ هذا حُكْمُ قلبِه عند نومه في غالب الأوقات، وقد يندر منه غير ذلك. ويصحح هذا التأويل: قولُه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَنَا»[٤]، وقولُ بلال فيه: "ما أُلْقِيَتْ عليَّ نومة مثلها قط"[٥]. ولكن مثل هذا إنما يكون منه لأمرٍ يريده الله مِن: إثبات حكمٍ، وتأسيس سنة، وإظهار شرع. وكما قال ﷺ : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَنَا، وَلَوْ شَاءَ لَرَدَّهَا إِلَيْنَا فِي حِينٍ غَيْرِ هَذَا»[٦].

٢-أن قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدَث في؛ لِمَا روي أنه كان محروساً؛ وأنه كان ينام حتى ينفخ، وحتى يُسمع غطيطه، ثم يصلي ولا يتوضأ.

٣-أنه لا ينام قلبه ﷺ من أجل أنه يوحى إليه في النوم، وليس في قصة الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية الشمس، وليس هذا مِن فِعْل القلب، وقد قال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَنَا، وَلَوْ شَاءَ لَرَدَّهَا إِلَيْنَا فِي حِينٍ غَيْرِ هَذَا».

فإن قيل: فما معنى نهيه ﷺ عن القول: «نَسِيْتُ»، وقد قال ﷺ : «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فإذا نَسِيْتُ فَذَكِّروني»[٧]، وقال أيضاً ﷺ : «لقد أذكرني كذا وكذا آيةً كنتُ أنسيتها»[٨].

(١) تقدم ذكر الحديث في المبحث الثالث.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره، رقم الحديث: (١١٤٧)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة، رقم الحديث: (٧٣٨).

(٣) انظر: الشفا (ص ٦٨٠ - ٦٨٢).

(٤) تقدم في التعليق ذِكْر الحديث وتخريجه.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب الأذان بعد ذهاب الوقت، رقم الحديث: (٥٩٥).

(٦) تقدم في التعليق ذِكْر الحديث وتخريجه.

(٧) تقدم تخريجه.

(٨) تقدم تخريجه.

فيُجاب عنه بما يلي[1]:

١-أنه لا تعارض في هذه الألفاظ؛ لأنه نَهْيَه عن أنْ يُقال: "نسيت آية كذا" فمحمولٌ على ما نُسِخَ حفظه من القرآن -أي: لفظه وتلاوته-؛ بمعنى: أن الغفلة في هذا لم تكن منه ﷺ، ولكنَّ الله تعالى اضطره إليها؛ ليمحو ما يشاء ويثبت؛ وما كان مِن سَهْوٍ أو غفلةٍ مِن قِبَلِه تَذَكَّرها، صَلُحَ أن يُقال فيه: أَنْسَى.

٢-أن نهيه ﷺ عن أن يُقال: "نسيتُ"، محمول على الكراهة وليس التحريم، ليُضيف الفِعْلَ إلى خالقه تعالى. وأما الأحاديث التي أضاف النسيانَ فيها إليه، فهو محمولةٌ على جواز ذلك؛ لأن للعبد دخلاً في ذلك بالاكتساب، وليس الخلق. وإسقاطه ﷺ لِمَا أَسْقَطَ مِن هذه الآياتِ، جائزٌ عليه بعد بلاغِ ما أُمِرَ ببلاغه وتوصيله إلى عباده، ثم يستذكرها مِن أُمَّتِه، أو مِن قِبَلِ نفسِه؛ إلا ما قضى اللهُ نَسْخَهُ ومَحْوَهُ من القلوب وتَرْكَ استذكاره.

---

(١) انظر: الشفا (ص ٦٨٢ - ٦٨٣).

الخاتمة

بعد مناقشة قضية عصمة قلوب الأنبياء عليهم -الصلاة والسلام-، أذكر في هذه الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي ما يلي:

- اعتنى القاضي عياض في كتابه "الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ" بقضية عصمة الأنبياء -عليهم السلام- في قلوبهم وأقوالهم وأفعالهم، سواء في الأمور المتعلقة بالتشريع والبلاغ عن الله تعالى، أو بالأمور الدنيوية التي ليس لها علاقة بالتشريع والبلاغ؛ مع مناقشة ما ورد في الكتاب والسنة مِن نصوصٍ تُوهِم بظاهرها خلافَ مبدأ عصمتهم، وتبيين التوجيه الصحيح لهذه النصوص، والتنبيه على الأخطاء التي يقع فيها بعض المؤرِّخين والمفسرين وشراح الحديث بما يتعارض مع عصمتهم.
- نقل القاضي عياض إجماعَ المسلمين على أن الأنبياء -عليهم السلام- معصومون من الشك في الأمور المتعلقة بالتوحيد، والعلمِ بالله تعالى وصفاتِه، وبما أُوْحِي إليهم؛ فلا يصح أن يشكوا بشيءٍ وَصَلَ إليهم عن طريق الوحي، فكل ما وصل إليهم عن طريقه، يعلمونه علم اليقين.
- يُحمل قول سيدنا إبراهيم عليه السلام: {وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} على عدة معاني، منها: أنه أراد كيفيةَ إحياء الموتى ومشاهدة صدوره مِن الله تعالى، فهو متيقنٌ وقوعه، وأما كيفية حصوله فهو المراد بسؤاله؛ ليزداد علماً ويقيناً. ومنها: أنه أرادَ عِلْمَ منزلته عند ربه تعالى، وعِلمَ إجابةِ اللهِ له طلبَه وسؤالَه. ومنها: أنه سأل زيادةَ يقينٍ وقوةَ طمأنينةٍ، فأراد التَّرَقّي مِن علم اليقين، إلى عين اليقين؛ فليس الخبر كالمعاينة.
- معنى قولِ النبي ﷺ: «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ»: أننا موقِنون بالبعث وإحياءِ الله الموتى، فلو شك إبراهيم، لكنا أولى بالشك منه؛ إما على طريق الأدب معه عليه السلام، وإما أن يريد ﷺ أُمَّتَه الذين يجوز عليهم الشك، فهو ﷺ أسند لنفسه ما هو لأمته.

- حذّر القاضي عياض مِن أن يُفْهَمَ مِن قوله تعالى: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ}: أن النبي ﷺ قد شك فيما أُوحي إليه؛ لأن المنقول عن ابنِ عباس وعامة المفسرين: أنه ﷺ لم يشك ولم يَسأل. ومما ذكره العلماء في توجيه الآية: أن المراد: قُل يا محمد للشاك: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ..}. ومنها: أن المرادَ بالخِطاب: العربُ وغيرُ النبي ﷺ، وهو كما قال تعالى: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، فالخطاب له ﷺ، إلا أن المراد: غيره.
- وجَّه العلماء قول الله تعالى: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا} بتوجيهين: الأول: أنَّ الرسل لَمَّا استيأسوا، ظنوا أنَّ الذين وعدوهم النصرَ مِن أتباعهم كذبوهم؛ وعلى هذا أكثر المفسرين. الثاني: أن ضمير في {وَظَنُّوا} عائد على الأتباع والأممِ، لا على الأنبياء عليهم السلام.
- ما وَرَدَ في مُبْتَدأ الوحي مِن قوله ﷺ للسيدة خديجة رضي الله عنها: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، ليس معناه: الشك فيما آتاه الله بعد رؤية المَلَك، وإنما معناه: أنه ﷺ خَشِي أن لا تحتمل قوتُه مقاومة المَلَكِ وأعباء الوحي، فينخلع قلبه، أو تزهق نفسه. أو أنه قال ذلك قبل لقائه المَلَكِ، وإعلامِ الله تعالى له بالنبوة، لِأَوَّلِ ما عُرِضَت عليه مِن العجائب -والتي منها تسليم الحجر والشجر عليه-، وبدأته المنامات والتباشير.
- بَيَّن القاضي عياض أن قول مَعْمَر: «وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً، حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ - فِيمَا بَلَغَنَا- حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ» لا يقدح في عصمته ﷺ؛ لأن معمر قال: "فيما بلغنا"، ولم يُسْنِدْه، ولا ذَكَرَ راويه، ولا مَن حَدَّثَ به، ولا أن النبي ﷺ قاله؛ ولا يُعْرَف مثل هذا إلا مِن جهة النبي ﷺ. وذكر بأن ذلك يمكن أو يوجَّه: بأنه قد كان في أول الأمر -قبل النبوة-. أو أنه ﷺ فعل ذلك لِمَا أحرجه مِن تكذيب مَن بلَّغه. أو أنه يمكن أن يُحمل على أنه خاف أنَّ الفترةَ لأمرٍ أو سببٍ منه، فخشي أن تكون عقوبةً مِن ربه، ففعل ذلك بنفسه؛ ولم يَرِدْ بَعْدُ شَرْعٌ بالنهي عن ذلك فيُعترض به.

– حذَّر القاضي عياض مِن أن يُفهم مِن قوله: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي» أن هذا الغينَ عبارةٌ عن وسوسةٍ أو ريبٍ وَقَعَ في قلبه ﷺ؛ وذَكَرَ أنَّ أَوْلَى وأشهر توجيهات هذا الحديث: أنه إشارة إلى غفلاتِ قلبه، وفتراتِ نفسه، وسهوها عن مداومة الذِّكْرِ، ومشاهدةِ الحق بما كان ﷺ دُفِعَ إليه مِن مُقاساة البشر، وسياسةِ الأمة، ومعناةِ الأهل، وكُلِّفه مِن أعباء أداء الرسالة وحَمْلِ الأمانة، وهو في كلِّ هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه؛ ولكن لَمَّا كان ﷺ أرفعَ الخلقِ عند الله مكانة، وأعلاهم درجة، وأتمهم به معرفة، وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه وإقباله بكليته عليه ومقامُه هنالك أرفع حالَيْه، رأى ﷺ حال فترته عنها وشغله بسواها، غَضّاً مِن عَلِيِّ حاله، وخفضاً مِن رفيع مقامه، فاستغفر الله من ذلك.

– أثبت القاضي عياض وقوع السحر على النبي ﷺ، منبهاً على أنَّ السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه، لا على قلبه واعتقادِه وعَقْلِه، وأنه إنما أَثَّرَ في بصره، وحَبَسَه عن وطءِ نسائه، وطعامِه، وأَضْعَفَ جسمَه وأمرضه؛ فهو عبارة عن مرضٍ مِن الأمراض، وعارِضٌ مِن العلل، تجوز عليه، كأنواع الأمراض مما لا يُنْكَرُ، ولا يَقْدَح في نبوته.

– لا يُشترط في حق الأنبياء عليهم السلام: عصمتهم من الجهل ببعض أمور الدنيا، أو مِن اعتقاد شيءٍ منها على خلاف ما هو عليه؛ إذ هممهم متعلقة بالآخرةِ وأمرِ الشريعة. ووقوع ذلك منهم يكون في بعض أمورها، لا أنهم لا يعلمون شيئاً منها بالكلية؛ لأن ذلك يؤدي إلى الغفلة والبَلَه، وهم مُنَزَّهُون عنه، وقد أُرْسِلوا إلى أهل الدنيا، وقُلِّدُوا سياستَهم وهدايتَهم والنظرَ في مصالح دينهم ودنياهم.

– لا يصح على الأنبياء الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أُمروا بالدعوة إليه؛ فما يحصل لهم مِن العلوم عن طريق الوحي، يعلمونه علم اليقين.

– قول الله تعالى في يونس عليه السلام: {فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ}، ليس المراد به: الشك أو الجهل في صفة القدرة لله تعالى؛ وإنما مراده: فظن أن لن

نُضَيِّق عليه؛ فطَمِع في رحمة الله تعالى وأن لا يُضَيِّق عليه مَسْلَكه في خروجه. وقيل: حَسَّنَ ظنَّه بمولاه أنه لا يَقْضِي عليه العقوبة. وقيل: أن لن نُؤاخذه بغضبه وذهابه. وقيل: أفظن أن لن نقدر عليه؟ على الاستفهام.

– ليس المراد مِن قول الله تعالى في يونس عليه السلام: {إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا}: أنه ذهب مغاضباً لربه؛ إذ مغاضبته تعالى: معاداةٌ له، ومعاداةُ الله كفرٌ لا تليق بالمؤمنين، فكيف بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وإنما يُحْمل على محامل عدة، أصحها: أنه ذهب مُغَاضِباً لقومه؛ لكفرهم.

– لا يصح أن يُفهم مِن قوله تعالى لسيدنا محمد ﷺ: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ}، وقولِه تعالى لسيدنا نوح عليه السلام: {فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}، وقوعُ الجهلِ من الأنبياء عليهم السلام بصفةٍ مِن صفات الله تعالى؛ لأن المقصود وَعْظُهُم أن لا يَتَشَبَّهوا في أمورهم بِسِمَاتِ الجاهلين. أو أن المقصود بالآية الأولى أمتُّه ﷺ.

– قلوب الأنبياء –عليهم السلام– معصومة من الوقوع في الضلال؛ ومن قال بخلاف ذلك اعتمد على فهمٍ خاطئ للآيات التي في ظاهرها وعيدٌ أو تحذيرٌ لهم؛ مثال ذلك: قوله تعالى: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، فالمراد هنا: غيرُ النبي ﷺ، وأن هذه حالُ مَن أشرك؛ والنبيُّ ﷺ لا يجوز عليه الشرك.

– رجح القاضي عياض عصمة الأنبياء –عليهم السلام– "قبل النبوة" من الجهل بالله وصفاته، والشكِّ في شيءٍ مِن ذلك، فالأخبار والآثار قد تعاضدت على تنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا، ونشأتهم على التوحيد والإيمان؛ ولم يُنْقَل أنَّ أحداً نُبِّئَ واصطُفِي ممن عُرِفَ بكفرٍ وإشراكٍ؛ وقد رَمَتْ قريشٌ نبيَّنَا بكل ما افترته، وعَيَّرَ كفارُ الأمم أنبياءَها بكل ما أمكنها، ولم نجد في شيءٍ من ذلك تعييراً لواحدٍ منهم برفضه آلهته، وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه؛ ولو كان هذا، لكانوا بذلك متبادرين، ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد

قبل، أفظع وأقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم مِن قبل.

- قولُ سيدنا إبراهيم -عليه السلام- في الكوكب والقمر والشمس: {هَذَا رَبِّي} كان في سن الطفولية، وابتداء النظر والاستدلال، وقبل لزوم التكليف؛ وقيل: إنما قال ذلك مُبَكِّتاً قومه، ومستدلاً عليهم. وقيل: معناه: الاستفهام الوارد مورد الإنكار. ومعنى قوله: {لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ}، أي: إن لم يؤيدني الله بمعونته، أكن مثلكم في ضلالتكم وعبادتكم، على معنى الإشفاق والحذر.

- ليس المقصود مِن الضلال في قول الله تعالى: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى}: الكفر والضلال عن الإيمان؛ وإنما معناه: ضالاً عن النبوة، فهداك إليها. وقيل: وجدك بين أهل الضلال، فعصمك من ذلك، وهداك للإيمان وإلى إرشادهم. وقيل: ضالاً عن شريعتك فهداك إليها، ولهذا كان ﷺ يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه، ويتشرَّع به حتى هداه إلى الإسلام.

- لا يوجد في قصة زيد بن حارثة وزينب بنت جحش رضي الله عنهما ما يدل على عدم عصمة قلوب الأنبياء؛ لأن التوجيه الصحيح للآيات التي تكلمت عن هذه القصة: أن الله تعالى كان قد أعلم نبيه ﷺ أن زينب ستكون من أزواجه، فلما شكاها إليه زيد بن حارثة، قال له ﷺ: {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ}، وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به مِن أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها. وليس معنى "الخشية" في الآية: الخوف، وإنما معناه: الاستحياء، أي: يستحيي منهم أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه؛ وأن خشيته ﷺ مِن الناس كانت من إرجاف المنافقين واليهود، وتشغيبهم على المسلمين بقولهم: "تزوج محمد زوجة ابنه"، بعد نهيه عن نكاح حلائل الأبناء كما كان، فعتبه الله تعالى على هذا، ونزهه عن الالتفات إليهم فيما أحله له.

– قول الله تعالى في قصة سيدنا موسى عليه السلام: {فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ} معناه: من المخطئين الفاعلين شيئاً بغير قصد. وقيل: معناه من الناسين.

– أَحْسَنُ ما قيل في معنى قوله تعالى لسيدنا محمد ﷺ : {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ}، أن المراد بالإيمان: الفرائض والأحكام، فكان النبي ﷺ قَبْلُ مؤمناً بتوحيده، ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل، فزاد بالتكليف إيماناً.

– المراد بالغفلة في قول الله تعالى: {وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ}: الغفلة عن قصة يوسف عليه السلام، فلم يعلمها ﷺ إلا بوحي من الله تعالى.

– الأمة مجمعة على عصمة النبي ﷺ وكفايتِه من الشيطان الرجيم، فلا يتسلط على خاطره وقلبه بالوساوس. وقد أُعين ﷺ على قرينه فأسلم؛ فإذا كان هذا حكم شيطانِه وقرينِه، فكيف بمَن بَعُدَ منه مِن الشياطين؟! وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطنٍ؛ رغبةً في إطفاءِ نوره، وإدخالِ شُغْلٍ عليه، فيئسوا من إغوائه؛ ولَمَّا لمْ يقدر الشيطان على أذاه بمباشرته، تسبب بالتوسط إلى عِدَاه.

– اختلفوا في المراد من قوله تعالى: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ}، فقيل: فإما يَسْتَخِفَّنَّك غضبٌ يَحْمِلكَ على تَرْكِ الإعراض عن الجاهلين، فاستعذ بالله منه. وقيل: معنى: {يَنْزَغَنَّكَ} يُغْرِيَنَّك ويُحَرِّكَنَّك؛ والنزغ: أدنى الوسوسة؛ فلم يُسَلَّط عليه بأكثر من التعرض له، ولم يُجْعل له قدرةٌ عليه.

– أولى ما يُقال في قول الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}، ما عليه جمهور المفسرين: مِن أن "التمني" ههنا: التلاوة، وأن "إلقاء الشيطان": شَغْله بخواطر وأذكار مِن أمور الدنيا للتَّالي حتى يُدْخِلَ عليه الوهم والنسيان فيما تلاه، أو يدخل غير ذلك على أفهام السامعين من التحريفِ وسوءِ التأويل ما يزيله الله وينسخه، ويكشف لبسه، ويُحكم آياته.

- قول النبي ﷺ يوم الوادي: «إن هذا واد به شيطان»، ليس فيه ذِكْرُ تسلطه على قلبه، ولا وسوسةٍ له؛ وقد أَعْلَمَ ﷺ أن تسلط الشيطان في ذلك الوادي إنما كان على بلال الموكل بإيقاظهم للصلاة.

- قوله تعالى عن يوشع عليه السلام: {وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ}، وقوله تعالى عن يوسف عليه السلام: {فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ}، وقول موسى عليه السلام في وكزته: {هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ}، وارِدٌ مَوْرِد مُسْتَمْرّ كلام العرب في وصفهم كل قبيح بالشيطان أو فِعْلِهِ. وأيضاً ما قالوه كان قبل نبوتهم.

- من معاني قوله تعالى: {فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ}: أن الذي أنساه الشيطانُ ذِكْرَ ربه هو أَحَدُ صاحِبَي السجن؛ والمراد بـ"ربه": المَلِك، أي: أنساه الشيطان أن يذكر للمَلِك شأنَ يوسف عليه السلام.

- لا يقدح وقوعُ السهو والنسيان من الأنبياء عليهم السلام بمبدأ عصمة قلوبهم؛ حيث إن أحوالهم بما يتعلق بوقوع السهو والنسيان منهم تنقسم إلى قسمين: ١-ما طريقه البلاغ، وتقرير الشرع، وتعلق الأحكام؛ فهم معصومون في "أقوالهم" من وقوع السهو والنسيان فيها؛ لأن ذلك يُوجِب التشكيك في الدين، ويسبب المطاعن فيه. وأما "أفعالهم"، فذهب أكثر العلماء إلى جواز وقوع السهو والنسيان منهم في ذلك؛ لأفادته علماً وتقريراً لأحكام الشرع، كالأحكام المتعلقة بسجود السهو في الصلاة؛ بشرط: أن لا يُقَروا على ذلك، بل ينبهون عليه. والأحاديث الواردة في سهو نبينا ﷺ في الصلاة، مبنيةٌ على السهو في الفعل لا في القول، وحِكمة الله فيه ذلك: لِيُسْتَنَّ به ﷺ؛ إذ البلاغ بالفعل أَجْلَى منه بالقول، وأرفعُ للاحتمال؛ وشرطه: أن لا يُقَرَّ على السهو، بل يُشْعَرُ به؛ ليرتفع الالتباس، وتظهر فائدة الحكمة فيه. ٢-ما ليس طريقُه البلاغَ؛ فالأكثر على جواز السهو والنسيان عليهم في ذلك؛ لِمَا يواجه الأنبياء من مقاساة الخلق وسياسات الأمة ومعاناة الأهل وملاحظة الأعداء. ولكنه لا يكون على سبيل التكرار، بل على سبيل الندور..

قائمة المراجع

١. إحياء علوم الدين، لحجة الإسلام الغزالي، طباعة دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.

٢. تاج العروس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، طباعة وزارة الإعلام الكويتية، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٣. تحفة المريد، لإبراهيم الباجوري، طباعة دار البيروتي، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٣هـ.

٤. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للشيخ يوسف بن عبد الله "ابن عبد البر"، طباعة وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، الطبعة الأولى، سنة ١٣٨٧ هـ.

٥. دلائل النبوة، لأحمد البيهقي، طباعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥ هـ.

٦. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، طباعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، طباعة دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ .

٨. شرح الإمام النووي على صحيح مسلم "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، طباعة دار الخير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.

٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، للقاضي عياض اليحصبي، طباعة دار الفيحاء، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٠. صحيح البخاري، طباعة دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢هـ.

١١. صحيح مسلم، طباعة دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٣م.

١٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، طباعة دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

١٣. القول السديد في علم التوحيد، لمحمود أبي دقيقة، طباعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، القاهرة، الطبعة الأولى.

١٤. مختار الصحاح، لزين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، طباعة المطبعة الأميرية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٥٣م.

١٥. مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٦. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، طباعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ هـ.